الممهدات التأريخية لعملية التحديث في المملكة العربية السعودية والعوامل المشجعة والمعارضة لتطورها

(1926–1953)

(المملكة العربية السعودية، التحديث، ابن سعود)

ا.د.صبري فالح الحمدي

sabrifalih@yahoo.com

كلية التربية/ قسم التاريخ

الجامعة المستنصرية

The Historic Beginnings of The Modernization Process in Kingdom of Saudi Arabia and The Encouraging and Discouraging Factors

(1953-1926)

(Kingdom of Saudi Arabia, Modernization, Ibn Saud)

Prof. Dr. Sabri Falih Al-Hamdi

Sabrifalih@yahoo.com

Edition College / History Department

Al-Mustansirya University

ملخص البحث

هناك عوامل اسهمت في التمهيد والتحضير لحركة التحديث التي شهدتها المملكة العربية السعودية في مجالات الادارة والدفاع والثقافة والحياة الاقتصادية والاجتماعية، وصارت بمثابة عوامل مشجعة لقيامها، فضلا عن وجود قوى معارضة لحركة التحديث التي تنادي بالتطور وقيام دولة عصرية، خاصة الاخوان الذين وقفوا ضد كل تحول في مرافق الحياة.

Abstract

There were factors that helped in preface and preparation of the modernization movement that took place in Saudi Arabia Kingdom in the fields of management, culture, economic & social life, and they become as encouraging factors to make it happen, in addition to the existence of oppositional sides to the modernization movement that aimed at development and building a modern state, especially the Muslim brothers that stand against any transformation in the different life facilities.

1- الممهدات التاريخية لعملية التحديث والعوامل المشجعة في تطورها:

يعد عام 1902[1] حدث فاصلا في تاريخ الجزيرة العربية الحديث الذي شهد دخول عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود مدينة الرياض واستعادتها من سيطرة آل الرشيد[2]، وما تبع ذلك من نجاحه واعوانه من السيطرة على معظم مناطق نجد[3]. الامر الذي شجعه على مهاجمة معاقل آل الرشيد في مناطق اخرى واقعة شمال نجد، مستثمرا مقتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب (1898–1906) عام 1906 واجبارهم على الانسحاب من نجد في العام نفسه[4].

وعلى اثر فرض سيطرته على المناطق الداخلية المتمثلة في نجد والمناطق المجاورة لها، فقد وجه ابن سعود[5] اهتمامه صوب الاحساء التي تعد منفذا بحريا لبلاد نجد على ساحل الخليج العربي، واستطاعت قواته احتلالها عام 1913، وبذلك امتدت حدود بلاده الى تخوم عسير من جهة اليمن، والى حوران من ناحية الشمال، والى قطر وقطيف وعمان من جانب الخليج العربي، وبذلك انظمت لها مناطق اخرى من الجزيرة العربية جعلت امارة نجد ذات نفوذ وصل الى اطرافها، الامر الذي اثار مخاوف اشراف الحجاز، فضلا عن حكام عسير وامراء آل الرشيد في حائل[6].

على ان اندلاع الحرب العالمية الاولى عام 1914 كانت سببا في اهتمام بريطانيا بحكم ابن سعود داخل الجزيرة العربية، لاسباب تتعلق بمصالحها الحيوية في المنطقة، لاسيما بعد وصول نفوذه الى الاحساء المطلة على الخليج العربي، الامر الذي جعله على مساس مباشر بالسياسة البريطانية ومصالحها هناك، وتزامن ذلك مع قيام بريطانيا بحملتها[7] العسكرية لاحتلال العراق وتهديد الحدود الاجنبية للدولة العثمانية، وهو ما تطلب توثيق صلاتها مع شيوخ الخليج والجزيرة العربية والعمل على استمالتهم، ومنهم امير نجد وتوابعها، للوقوف معها في الحرب ضد الدولة العثمانية وحلفاءها من آل الرشيد في حائل وتأمين سلامة امداداتها ذات العلاقة

بحملة العراق، وقد نجح برسي كوكس[8] (Sir Percy Cox) بعقد معاهدة العقير[9] (دارين) مع ابن سعود في 26 كانون الثاني 1915، تضمنت بنودا، اهمها اعتراف بريطانيا به حاكما مستقلا في اراضي نجد والاحساء، شريطة ان لا يتحرش بامارات الخليج العربي المرتبطة بمعاهدات صداقة وحماية مع بريطانيا، وعدم تدخله بشؤونها الداخلية لاجل تحقيق هدفها الرئيسي وهو ضمان احتلال العراق[10].

وخلال المدة التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الاولى عام 1918 تمكن ابن سعود من القضاء على حكم آل الرشيد في حائل في 2 تشرين الثاني 1921، بعد استسلام الامير محمد بن طلال، فاصبحت شمال نجد تحت سيطرته[11]، فضلا عن انضمام عسير الى بلاده عقب توقيع حسن الادريسي اميرها اتفاقا مع ابن سعود في تشرين الاول 1926 على اثر معارك قادها الامير عبد العزيز بن مساعد (ابن عم ابن سعود) ابتدأت منذ مايس 1920 ضد امارة عسير وفي اثناء تلك التطورات ركز امير نجد والاحساء جهوده لدخول الحجاز[12]، فاستطاعت قواته السيطرة على الطائف في 6 ايلول 1924، ومكة المكرمة في 4 كانون الاول من العام نفسه، وفي اليوم التالي سلمت المدينة المنورة لقوات ابن سعود، وفي 22 من الشهر نفسه اعلن استسلام جدة للقوات النجدية، بعد توسط بريطانيا بعقد اتفاق تنازل بموجبه الشريف علي بن الحسين عن حكم الحجاز تاركا جدة، ثم نودي بابن سعود ملكا على الحجاز في 8 كانون الاول 1926، فصار يسمى ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها[13].

ادت هذه التطورات الى اتساع املاك الدولة السعودية في مرحلتها الثانية، بعد انضمام عسير والحجاز وحائل، فضلا عن نجد وما جاورها إليها، اذ امتدت اراضيها الى مناطق واسعة من الجزيرة العربية، اذ وصلت حدودها الى الشام والاردن والعراق، وصارت تطل على البحر الاحمر عبر جدة، وعلى الخليج العربي من خلال الاحساء، مما كان حافزا لابن سعود ان يعيد النظر في صلات بلاده مع

بريطانيا، خاصة وان معاهدة عام 1915 قد فرضت قيودا على دولته، وظلت بريطانيا في علاقات غير متكافئة مع مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها[14]، لذلك كان لابد لابن سعود ان يتخذ اجراءات من شأنها ترسيخ نفوذه والتمهيد لتوفير مستلزمات اقامة دولته الجديدة.

وتوافقا مع هذه التوجهات ورغبة في احداث تطور في البلاد العربية السعودية، كان لابد من ادخال اصلاحات في مجالات الحياة المختلفة، والافادة من خبرة الدول الاوربية، بعد استقرار اوضاعها الداخلية وتوحيد اجزاء الجزيرة العربية[15]، وجاءت زيارة الامير فيصل بن عبد العزيز نائبا عن والده على رأس وفد مثل المملكة، ضم في عضويته عبد الله الدملوجي[16] القائم بالاعمال الخارجية (مدير الشؤون الخارجية) يرافقه (ف.بورد Berid) قنصل بريطانيا في جدة الى بريطانيا، ولقاء الملك جورج الخامس (George.V) للبحث في قضية اعادة النظر في معاهدة دارين عام 1915، التي لم تعد تتلائم مع مكانة ابن سعود السياسية في الجزيرة العربية ومن ثم نجاحه في توقيع معاهدة جديدة في 4 ايار 1927[17]، والتعرف على المخترعات الحديثة في مجالات النقل والطرق ووسائل الاتصالات، والافادة من ادوات الهندسة البريطانية المتطورة للمباشرة في اصلاح اوضاع البلاد المختلفة، وهنا ادى جون فيلبي[18] (John Philipy) دورا تجاريا بعد اعتزاله العمل السياسي موفدا من الحكومة البريطانية، الامر الذي كان حافزا لمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها على منح بعض الامتيازات للتنقيب عن النفط والمعادن الاخرى في اراضيها، والافادة منها في تحديث المملكة عن طريق ادخال مظاهر الحضارة والتطور في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[19].

ادت تلك الزيارة الى جذب الاهتمام البريطاني بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها التي اصبحت مسيطرة على معظم مناطق الجزيرة العربية من جهة، كما حققت

المعاهدة نتائج ايجابية لابن سعود من جهة اخرى، وفي مقدمتها رفع القيود التي كانت مفروضة على علاقة بلاده الخارجية مع الدول الاخرى، التي تضمنتها بنود معاهدة عام 1915، فقد تمتعت المملكة بالسيادة في علاقاتها الخارجية وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع دول العالم وتوفرت لها مستلزمات الاستقلال، وصار بامكانها عقد الاتفاقيات المختلفة مع الشركات العالمية، التي تتيح لها ادخال وسائل التطور واحداث الاصلاح المطلوب في شتى مجالات الحياة، مستعينة بالخبرة الاجنبية دون الرجوع الى الحكومة البريطانية واخذ موافقتها بعد تخلص ابن سعود من الامتيازات الاجنبية التي فرضت عليه على وفق معاهدة عام 1915، فضلا عن القيود المقيدة لاستقلال بلاده في التعامل مع الدول الاخرى[20].

ومن الجدير بالذكر ان موارد مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها الاقتصادية قبل ظهور النفط واستغلاله في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، تقوم على ما يدره موسم الحج من اموال، وكان معروفا ان هذه الايرادات، بصفتها الايرادات المالية المهمة بل الوحيدة حتى عام 1932، كانت تبلغ على وفق تقديرات بعض المصادر التاريخية قرابة الـ(100000) جنيه استرليني سنويا، التي لا تسد كل احتياجاتها التي اخذت تتزايد بحكم اتساع املاكها وتكاثر سكانها، والحاجة الى توفير الخدمات ووسائل العيش اللازمة لهم[21].

وعلى ما يبدو فان رغبة ابن سعود في تحديث بلاده والانتقال بها الى مرحلة الدولة العصرية، لعل ابرز سماتها الاخذ بمظاهر الحضارة الحديثة، تعود الى اصول تاريخية، فقد ورد في تقارير الارسالية الامريكية العربية للتبشير في شرق الجزيرة العربية، ان مستشفاها في البحرين–الذي افتتح منذ عام 1892– فضلا عن مراكز اخرى في مسقط والكويت والمحمرة المكون من اطباء وجهاز طبي متكامل استرعى انتباه العديد من سكان شرقي الجزيرة العربية وجعلهم يفدون طلبا للعلاج، وهو الامر الذي تنبه له ابن سعود، اذ دعا عام 1920 الدكتور لويس ديم (Dr. Louis P.

Dame وهو طبيب جراح ماهر، لزيارة المملكة، وهو ما تحقق في مرات عدة، اذ كان ينزل عادة في منزل السيد صالح اسلام مدير مالية الاحساء، ومما يعزز ذلك ما جاء في تقرير عن نشاط مستشفى الارسالية صدر عام 1921 بما يأتي:" قام بعض اطباء المستشفى بزيارات علاجية للرياض والهفوف والظهران، وامضى بعضهم ما يزيد على شهرين[22].

على ان اكتشاف النفط في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين كان من العوامل المهمة في توفير مستلزمات التحديث في مرافق الحياة المختلفة، عبر محاولات ابتدأت عام 1926 بلقاء تم بين تشارلس كرين Charles R. Crane) احد الشخصيات التجارية والدبلوماسية الامريكية[23]، الذي زار جدة والتقى ابن سعود الذي طلب من كرين اثناء مقابلته ان يرسل له خبيرا جيولوجيا للبحث عن الماء والمعادن في الحجاز، لان ابن سعود كان يرى ضرورة تطوير بلاده وبخاصة في مجال الزراعة والاخذ باساليب الحضارة العصرية بشكل يتلائم مع اوضاع بلاده[24]، ولكن المحاولة باءت بالفشل، وفي هذا الظرف قام جون فيلبي الذي ساعد في وقت سابق في جهود الوساطة من اجل الحصول على الاعتراف الامريكي بالحكومة السعودية– بالتطوع للمساعدة في جذب الاهتمام التجاري الامريكي بالمملكة، وكان من نتائج زيارة كرين ان جاءت بعثة كارل تويتشيل Karl S. Twichell) الجيولوجي الامريكي في شتاء عام 1931 حين زيارتها المملكة في اثناء عملها اعتقد تويتشيل انها منطقة واعدة للتنقيب عن النفط في الظهران على الخليج العربي، ولدى عودته الى الولايات المتحدة الامريكية، اخذ يحث الشركات الامريكية على الاستثمار في المملكة، اذ إلتقى بمسؤولين من شركة (ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا) واستأجرت الشركة تويتشيل للعمل كاحد ممثليها في التعامل مع الحكومة السعودية وقد نجح هوولويد هاملتون Liyod Hamilton) احد المسؤولين في الشركة نفسها– في ابرام اتفاقية تعطي للشركة الامريكية حق امتياز للتنقيب عن النفط في المملكة، وقعها عن

الجانب السعودي عبد الله السليمان وزير المالية السعودي في 19 ايار 1933، وعد هذا الامتياز الذي يغطي نحو (360) ألف ميل مربع، واحدا من اكبر الامتيازات في العالم[25]، ومما ساعد الشركة في مفاوضاتها مع السعوديين انها كانت تستأجر تويتشيل الذي يكن له ابن سعود احتراما كبيرا ، فضلا عن المساعي الحميدة المبذولة من جانب فيلبي، وهكذا نلاحظ ان توسع الاهتمام الرسمي الامريكي بالسعودية سار عموما بالتوازي مع نمو صناعة النفط هناك، واصبح لكليهما اهمية متزايدة مع اقتراب الحرب العالمية الثانية[26].

وبحكم تصاعد المنافسة الامريكية– البريطانية على النفط السعودي، فقد رأى ابن سعود وهو يطمح بالعمل على ادخال مظاهر التطور الحضاري في بلاده بالافادة من عوائد النفط المالية من الشركات الامريكية، التي انفردت بالامتيازات النفطية في الاراضي السعودية من جهة، والسعي لاقامة نوع من الموافقة السياسية بين الولايات المتحدة وبريطانيا، فضلا عن الموازنة الاقتصادية اذ كان لبريطانيا نفوذ سياسي واسع في منطقة الشرق الاوسط. اما الولايات المتحدة فقد كانت اهتماماتها في المنطقة لازالت محدودة، فاراد ابن سعود ان يفسح المجال امام الشركات الامريكية من اجل ان يكون لها نفوذ مماثل في مملكته، وكذلك هو الشأن بالنسبة للمصالح الاقتصادية، وبالذات الامتيازات النفطية، فحاول ان يستفيد في بداية الأمر من رأس المال البريطاني للبحث عن المصادر المعدنية في بلاده، وعندما فشلت محاولات البريطانيون، اتجه نحو الامريكيون للافادة من خدمات تويتشيل في التعدين، وفضل ابن سعود منح الامتياز وفق افضل العروض[27] لشركة نفط كاليفورنيا بدلا من عرض شركة نفط العراق *Iraq Petroleum*)[28].

من جانب آخر يمكن تلمس توجه المملكة الى مسيرة التطور على الرغم من وجود عجز في ميزانيتها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، مع التذكير

بوجود عوامل كثيرة، كانت دافعة نحو النمو ، لعل ابرزها الافادة من الموارد المالية المتأتية من النفط في اصلاح اوضاع البلاد الاقتصادية الصعبة، من مظاهرها ان اخذت بعض قبائل نجد تبيع خيلها وجمالها وما عندها من الاموال في سوق الكويت وغيره، واخذت بدلها وادي (الارطوية) ونعني بذلك مستوطناتها الزراعية[29]، التي بنيت فيه تلك القبائل قصورا، وشرعت تعني بامرين لا غيرهما: الزراعة والعلم، وصار افرادها لا يأذنون لواحد منهم ان يشتغل بغير الزراعة[30]، وما تبع ذلك من ادخال الطاقة الكهربائية –على سبيل المثال لا الحصر– واستخدامها في الاضاءة، والافادة من اجهزة التكييف والطبخ[31]، الامر الذي ادى الى نمو الاقتصاد نتيجة انفتاح الدولة امام تنفيذ العديد من المشروعات المختلفة، واستقدام الايدي العاملة العربية والاجنبية، وقد شمل التغيير مجالات الصحة والتعليم والخدمات والوظائف وارسال الطلبة السعوديين للدراسة في الخارج، في مختلف انواع العلوم وتخصصاتها[32].

وخلال عقد الاربعينيات من القرن العشرين اخذت تتضح مقومات الانطلاق نحو التحديث في المملكة، وتزامن ذلك مع تطور العلاقات السعودية– الامريكية بفعل تزايد الاهتمام الامريكي بالنفط السعودي، فقد نجحت الشركات الامريكية بداية شباط 1943 في اقناع ادارة الرئيس فرانكلين رزوفلت (Franklin Rosevelt (1933–1945) الذي تعهد باول التزام لبلاده امام المملكة حين صرح:" ان الدفاع عن المملكة العربية السعودية مسألة حيوية بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة" مما يشير الى سعي الاخيرة لوضع المملكة في وضع يتلائم مع القوانين الامريكية، وهو ما يتيح لها الحصول على مساعدات الخزانة الامريكية، دونما حاجة لان تتم العملية في بريطانيا[33]، وتبع ذلك زيارة الامير فيصل بن عبد العزيز –وزير الخارجية– في اواخر ايلول من العام نفسه الى الولايات المتحدة الامريكية على رأس وفد سعودي، ضم شقيقه الامير خالد، والشيخ حافظ وهبة السفير في لندن، بهدف تلبية الحاجة الى تنمية الموارد النفطية السعودية، والعمل على زيادة انتاجها النفطي بغية الحصول

على عوائد مالية تعالج اوضاع المملكة الاقتصادية الصعبة، جراء انقطاع المورد المالي المتأتي من توقف موسم الحج بسبب الحرب العالمية الثانية، وهو يمثل مورد الدخل الرئيسي في البلاد، الامر الذي عرضها لازمة مالية، فضلا عن التباحث بشأن انشاء مصفى لتكرير النفط في الظهران، وقد اعرب الامير فيصل عن رضاءه عن الخطوات التي اتخذت لدعم المصارف والعملة السعودية[34]، وفي 14 شباط 1945 حصل اللقاء بين ابن سعود وروزفلت في منطقة البحيرات المرة في مصر، مما يدلل على نمو العلاقات بين الدولتين واثره في اصلاح اوضاع المملكة المختلفة[35].

ومن الادلة على دور الشركات النفطية بالمساهمة في نقل مظاهر الحضارة الى المملكة وتحول اقتصادها من الاعتماد على الحج والزراعة والتجارة التقليدية، الى ادخال عامل النفط بشكل مؤثر في تلك التحولات، هو ان شركة ارامكو الامريكية كانت لا تعطي مقاولات لتشغيل الايدي العاملة فقط، بل يقوم المقاول بتقديم ما امكن من المعدات والادوات والموارد اللازمة، فاصبح يمكن شراء المواد كالخشب والفولاذ والسمنت وغيرها محليا، ولاشك فان سياسة المقاولات التي تتبعها ارامكو ذات صلة بالازدهار الكبير الذي طرأ على المحلات التجارية في الدمام والخبر بوجه خاص ذات الصلة بتطور الحياة الاقتصادية، فهناك عدد كبير من الآلات، كسيارات النقل والجرارات والروافع وادوات اللحام وخلاطات السمنت، وماكنات صنع الطوب والادوات الكهربائية يجري استيرادها عن طريق المقاولين، مما عد عاملا اسهم الى حد ما في نمو بعض القطاعات الاقتصادية[36].

مقابل ذلك حصلت موافقة بنك الاستيراد والتصدير الامريكي في تموز 1946 على اقراض المملكة بـ(10000000) دولار لشراء ما تحتاجه من الحبوب والانسجة والادوات والآلات الزراعية وتجهيزات اخرى، وعندما طلب ابن سعود من البنك قرض بقيمة (5000000) دولار لبناء نظام مواصلات وخطوط للسكك الحديد الرئيسة،

لاسيما خط يربط منطقة الاحساء بالعاصمة الرياض، لتسهيل نقل المنتجات النفطية والبضائع وتطوير المناطق النائية، وهذا ما جاء في رسالته الى الرئيس هاري ترومان (1945–1952) مؤرخة في 4 تشرين الاول 1946 الذي ابدى استعداده لتلبية الطلب، مما يسهم في ربط اجزاء البلاد العربية السعودية بشبكة من المواصلات[37].

استمر ابن سعود يتبع سياسة الحصول على القروض بوصف ذلك احد العوامل المساعدة في تحديث المملكة، فضلا عن عوامل اخرى اشرنا بعضها، فعلى اثر اتساع رقعة الاراضي التي راحت تشتريها الشركات النفطية الامريكية– فقد طلب ابن سعود من شركة التابلاين ان تقوم بمد انبوب لنقل النفط من منابعه في المنطقة الشرقية على الخليج العربي الى مواني‌ء البحر المتوسط، لتخفيض تكاليف نقله الى اواسط غرب اوربا عن طريق الدوران حول شبه جزيرة العرب وعبر قناة السويس[38]، فزادت بذلك واردات المملكة بعد عام 1950 حتى بلغت (160) مليون دولار سنويا، خصصت لتطوير طرق المواصلات، بشراء السيارات الكبيرة والصغيرة، وادخال الكهرباء في مدن مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، وانشاء شبكة من الخطوط البرية والحديدية والجوية، فاصبحت المملكة في اواخر عام 1951 ملتقى خطوط المواصلات الجوية العالمية، فقربت بينها وبين العالم الحديث، وصارت على احتكاك مباشر بآخر نتاجات الفكر العلمي[39]، والاهم من ذلك اقدامها على تعديل الاتفاقية النفطية مع الشركات الامريكية في الاول من كانون الثاني 1951، والمعروفة بمناصفة الارباح، اذ تدفع الشركات نسبة (50%) بدلاً من (34%) من ارباحها للحكومة السعودية، واعترافها بحق السلطات السعودية بفرض ضرائب على عائدات الشركة، ويعد ذلك انجازا اقتصاديا دفع بعجلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي خطوات الى الامام[40].

يتضح لنا من عرض الصفحات السابقة ان مرتكزات المباشرة في ادخال اصلاحات الى المملكة قد تم ارساءها بفعل الخطوات التي اتخذها ابن سعود، لاسيما بعد دخوله الحجاز عام 1924 والتي يمن تلخيصها، كما اوردها الزعيم الهندي جواهر لال نهرو، بما يأتي[41]:

1–توطين البدو: بدأ به قبل وصوله الحجاز عام 1924، فارسى بذلك اسس دولة حديثة.

2–اقرار الامن داخل البلاد: في وقت قصير اخذت قوافل الحج تسير بطمأنينة كبيرة، لان كثيرا من الحجاج كانوا في السابق معرضين للنهب والسلب بطريقهم الى الاماكن المقدسة.

وعلى الجانب الآخر اسهمت عوامل اخرى دفعت بعملية التحديث خطوات ملموسة شملت مجالات عدة، منها العوائد المالية المتأتية من تصدير النفط السعودي الى بلدان العالم، وايضا القروض المالية التي حصلت عليها المملكة من شركات ودول، لاسيما من الولايات المتحدة وشمول المملكة ببرامج الدعم الامريكي العالمي، فضلا عن النتائج الايجابية التي تحققت من زيارة الوفود الرسمية السعودية الى تلك البلدان، للافادة من خبراتها واستيراد ما يحتاجه السعوديون من اجهزة ومعدات تلائم متطلبات الحياة الجديدة.

2–معارضة الاخوان:

واجهت حركة التحديث معارضة داخلية مثلها الاخوان بقيادة فيصل الدويش[42] بعد انضمام الحجاز في امارة نجد والاحساء والمباشرة في اقامة اركان الدولة الجديدة، عقب اتخاذ ابن سعود قراره في ادخال الآلة الى المدن المقدسة (مكة المكرمة، المدينة المنورة) فيفيد الانسان من تطبيق منجزات العلم في قهر الطبيعة

وترويضها والسيطرة عليها، فقرر السماح بادخال السيارات[43] بعيد عام 1926 لتؤمن راحة الناس في انتقالهم من جدة الى الاماكن المقدسة، رغم اصوات المعارضة التي ارتفعت من رجال القبائل، الذين كانوا يملكون الجمال ويستخدمونها في نقل الحجاج، ويفيدون من هذا الدخل في تأمين معيشتهم، فالجمل عماد حياة البدو[44].

وحينما قرر ابن سعود الافادة من الخبرات الاوربية في تحقيق التطور المنشود في المملكة، عبر وسائل متعددة، منها ارسال البعثات الى الخارج، عارض الاخوان تلك الاجراءات التي يرون انها مخالفة لتعاليم الدين الاسلامي وهي من اعمال الشيطان التي من الضروري التصدي لها، واشارت المصادر التاريخية الى تلك المعارضة بالقول:" عارض هؤلاء عبد العزيز بسبب ادخاله اصلاحات مختلفة وارسال ابنائه الى اوربا او مصر وكانوا يحاربون اي اصلاح يجدونه معارضا لآرائهم فكانوا من رفض سياسة وتوجهات ابن سعود"[45]. واستمروا في معارضتهم للاصلاح الذي اصر على اتباعه ابن سعود ووقفوا ضده بحزم[46]، كما احتج العلماء المؤيدين لحركة الاخوان الذين اجتمعوا في مكة المكرمة قبل اندلاع الحرب مع قوات المملكة عام 1928، على ادراج مواد دراسية مثل الجغرافية واللغات الاجنبية والتخطيط الهندسي في برنامج مديرية المعارف، المؤسسة الحديثة باعتبارها تمثل افكار المشركين[47].

وعلى الرغم من محاولة ابن سعود استمالتهم الى جانبه والامتناع عن الصدام مع الاخوان، اذ اتبع معهم سياسة الحكمة، فكان تارة يأخذهم بالحيلة، وطورا بالشدة، فمرة يسمعهم القرآن بواسطة الراديو، فيثبت لهم انه ليس من الشيطان، لان الشيطان لا يقرأ القرآن، واخرى يقف معهم موقف الحزم وينذرهم بانه سينزل اشد العقاب بمن يمانع في استعمال التلغراف والسيارات، كما فعل مع وفد العلماء الذي اتى إليه عام 1931 في الرياض محتجا ومعترضا، الا ان الحرب صارت حتمية مع الاخوان[48]

واستمرت بين سنوات(1928–1930) انتهت بهزيمتهم[49] وترسيخ الدولة السعودية نفوذها في الجزيرة العربية، وتمثل هذه الحرب المرحلة الحاسمة بين ابن سعود في توجهاته المدنية الجديدة، ورغبته في تحديث بلاده على النمط الغربي، وبين الاخوان الذين رأوا في الامر خروجا على السلفية الجهادية، ويتعارض بالكلية مع الدولة الدينية المرجوة التي تحملوا في سبيل اقامتها الصعاب والمشاق، حين قرر ابن سعود التخلص منهم، لتدشن هذه الحادثة المروعة البداية الفعلية والعملية لشروع الدولة السعودية في الاخذ باسباب الحداثة تدريجيا دونما حسابات معقدة او معينة من رجال الدين، ولتؤكد بالتالي الرغبة في التخلص من هذا الارث الديني الضخم الذي كان ينتقص دائما من قيمة الانجاز السياسي الذي تحقق ، والا ينسب باستمرار الى الدعوة السلفية (الدين) بقدر ما ينبغي ان يعزى الى طموح آل سعود وقوتهم (السياسية) ومن ثم جاء الاعلان النهائي عن اسم الدولة مجردا من اي طبيعة دينية (المملكة العربية السعودية) عام 1932 ليؤكد على هذا المغزى الديني العلماني[50].

وحري بنا قبل ان نختم موضوع معارضة الاخوان للتحديث ان نوضح اسباب عدم نجاح حركتهم في الاطاحة بالدولة السعودية، لعل في مقدمتها قوة ابن سعود واعتماده على قبائل نجدية قوية واستعانته بها، فقدمت له هذه القبائل خدمة كبيرة في القضاء على تلك الحركة التي شكلت خطرا حقيقيا على مصير تلك الدولة، فضلا عن ضرب الطائرات البريطانية لمعسكراتهم عند الحدود العراقية– الكويتية–النجدية وتقدير الاخوان الخاطيء لقوتهم باكثر مما هي عليه في الحقيقة[51]، وقد وصفت ما حصل من صراع سياسي وعسكري بعض المصادر التأريخية بما يلي:" ويصح ان نعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة بين الفوضى والنظام ونصرا للتقدم على الرجعية"[52]، مما مهد الطريق لادخال مظاهر الحضارة في شتى مجالات الحياة الى مرافق الدولة السعودية، وانفتحت امامهم ابواب الافادة من منجزات العلم في اصلاح

اوضاع البلاد المختلفة، والانتقال الى مرحلة جديدة ذات سمات تحمل ميزات تختلف عن سابقتها في تاريخ المملكة المعاصر.

الهوامش

1- David Holden and Richard Johns, The House of Saud, London, Pan Book LTd, 1982, P.1-8.

2 – مفيد كاصد ياسر الزيدي، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915–1927، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991، ص28.

3– صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915–1953)، دار الحكمة، لندن، 2011، ص12.

4–حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص250.

5 – سنعتمد تسمية ابن سعود في دراستنا بدلا من عبد العزيز على سبيل الاختصار لذا اقتضى التنويه.

6 –سليمان الدخيل، امراء السعود في جزيرة العرب، مجلة لغة العرب، جـ6، السنة الثالثة، 3 محرم 1332–تشرين الثاني 1913، ص298.

7 – لمزيد من التفاصيل عن حملة العراق ينظر:

Peter Sluglett; Britain in Iraq 1914-1932, London, 1976, P.9-16.

8– لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية البريطانية ينظر:

Philip Graves; The The Life of Sir Percy Cox, London, 1941.

9– لمعرفة الاتصالات البريطانية مع امير نجد والاحساء التي ادت الى توقيع معاهدة 1915 ينظر: نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والاحساء) المجلد الاول 1914–1915، دار الساقي، بيروت، 2000، ص397–423.

10- John Philipy; Saudi Arabia, Beirut, 1968, P.272-273.

11- جبار يحيى عبيد، التاريخ السياسي لامارة حائل، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، 2003، ص240-241.

12 - لمزيد من التفاصيل عن مملكة الحجاز ينظر:

Randall Baker; King Husain and Kingdom of Hegaz, The Oleander Press, New York, U.S.A.

13- طالب محمد وهيم، تاريخ الحجاز السياسي 1916-1925، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2007، ص435-438.

14-Kenneth, Williams, Ibn Saud , The Baritan King of Arabia, London, 1933,P.21.

15- في 8 كانون الاول عام 1926 نودي بعبد العزيز ملكا على الحجاز، واصبح لقبه الرسمي ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص391.

16- صبري فالح الحمدي، الدكتور عبد الله الدملوجي والسياسة الخارجية السعودية (1915-1928)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 15، السنة 2009، ص14.

17 - لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ينظر: حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص83-88.

18 - جون فيلبي *(John Philipy* (1885-1960): ولد في جزيرة سيلان (سيرلانكا) اذ كانت اسرته البريطانية تعمل هناك، وعاد مع اسرته الى بريطانيا عام 1891، اكمل دراسته بتخرجه من كلية ترينتي في جامعة كمبردج عام 1907، وفي العام التالي ذهب الى الهند ليعمل بالادارة البريطانية هناك، وعلى اثر دخول القوات البريطانية العراق عام 1914، صدر الامر من نائب الملك في الهند بسفره الى العراق للانضمام للحملة، بعدها ترك العراق لخلاف مع (ويلسون) الحاكم العام المدني بالعراق. خيري حماد، اعمدة الاستعمار في الوطن العربي، الحلقة الاولى عبد الله فيلبي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص21-54.

19 – صبري فالح الحمدي، جون فيلبي والبلاد العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن سعود (1915–1953)، الدار العربية للعوم ناشرون، بيروت، 2013، ص81.

20-John Marlowe, The Arabian Gulf in the Twentieth Century, London, 1962, P.74.

21 – محمد علي رضا الجاسم، مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1972، ص79.

22 – عبد الله ناصر السبيعي، نشاط الارسالية الامريكية العربية للتبشير في شرق الجزيرة العربية، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، العدد الاول، السنة الثانية، الرياض، شوال 1402هـ/يوليو (تموز)، 1982، ص136–137.

23– من الضروري التذكير بدخول شركة نفط العراق البريطانية ميدان المنافسة مع الشركات الامريكية لاستثمار النفط في الاحساء منذ آب 1923، عن طريق فرانك هولمز ممثلها ، لكنها اخفقت والغي الامتياز رسميا عام 1928.

-Stephen, Hemsley Longrigg, Oil in the Middle East, London, 1954, P.113.

24 – عبد الفتاح ابو علية، رسالة تشارلز كرين الى الرئيس روزفلت يصف فيها الملك عبد العزيز، مجلة الدارة، العدد الاول ، السنة الثالثة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ايار عام 1977، ص194–195.

25 -George Rentz; Wahhabism in the " the Arabian Peninsula", Edited by Dertek Hopwood, London, (N.D), P.64.

26 – بنسون لي جريسون، العلاقات السعودية– الامريكية في البدء كان النفط، ترجمة سعد هجرس، دار الجيل، بيروت، 1991، ص15–17.

27 – قدم ابن سعود لكل من الشركتين رسالة يشير فيها الى ان الامتياز يمنح للشركة التي تتعهد بان تدفع حالا مبلغا قدره (100000) جنيه استرليني ذهب كسلفة على العائدات التي ستتحقق فيما بعد اذا اكتشف النفط، وكان هذا المبلغ ضخما لدرجة جعلت الشركة البريطانية تتردد في عرضها، بينما اقدمت الشركة الامريكية واعلنت انها وضعت حسابا باسم الملك السعودي في احد المصارف مقداره (50000) جنيه استرليني ذهب، اي نصف المبلغ الذي طلبه الملك وبذلك ربحت

الشركة الامريكية الامتياز، وكان لجون فيلبي دور في تلك المفاوضات. صبري فالح الحمدي، جون فيلبي والبلاد العربية السعودية، ص116.

28- طارق نافع الحمداني، الملك عبد العزيز وسياسة الموازنة بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية (1926-1945)، مجلة المؤرخ العربي، العدد(43) السنة السادسة عشرة، اتحاد المؤرخين العرب، 1990، ص43.

29- المستوطنات الزراعية: وهي الاماكن التي اتخذت اماكن لسكن البدو من الاخوان، لاسيما تلك المناطق الواقعة بين نجد والكويت، متخذين لانفسهم وسائل جديدة بالعيش وفي العمل بالزراعة.

-Gary Troller; The Birth of Saudi Arabia, London, 1976, P.170-171.

30 - سليمان الدخيل، الارطوية اول بلدة جديدة في ديار نجد، مجلة لغة العرب، الجزء11، من السنة الثانية، جمادى الآخرة1331، ايار 1913م، ص481.

31 -John, Philpy; Op.Cit, P.344.

32 - قيس محمد نوري وآخرون، المجتمع والدولة في السعودية مسيرة نصف قرن ، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص51.

33- غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية منذ عام 1945 دراسة في العلاقات الدولية، معهد الانماء العربي، القاهرة، 1980، ص242.

34 - نجاة عبد القادر الجاسم، القضايا التي ناقشها الامير فيصل بن آل سعود مع المسؤولين في الحكومة الامريكية اثناء زيارته للولايات المتحدة في اواخر سبتمبر 1943، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 3-4، المجلد السادس عشر، 1984، ص75و79.

35 - غسان سلامة، المصدر السابق، ص242.

36 - دافيد هـ.فيني، بترول الصحراء، ترجمة اسماعيل الناظر، مراجعة معد الكيالي، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت، 1960، ص201.

37 - فريد هوليداي، المجتمع والدولة في الجزيرة العربية، ترجمة محمد الرميحي، الكويت، 1976، ص43.

38 –عبد الفتاح حسن ابو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، 1976، ص187.

39 – قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكاتب العربي ، بيروت، 1965، ص64.

40 – عبد الفتاح حسن ابو علية، الاصلاح الاجتماعي، ص191.

41 – جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، نقله الى العربية لجنة من الاساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1957، ص327.

42 – فيصل الدويش: وهو شيخ قبيلة مطير النجدية، ومن المقربين لابن سعود، كان يرافقه في اغلب غزواته داخل الجزيرة العربية واطرافها، حتى راح يتطلع الى منافسة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وقد قضى ابن سعود سنوات (1928–1930) منشغلاً بالقضاء على حركة الاخوان. عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث1500–1918، جـ1، دمشق، 1960، ص425.

43 – اسهم جون فيلبي عن طريق شركته (الشركة الشرقية المحدودة) الى اسسها عام 1926، والتي حصلت على وكالة مصانع فورد لانتاج السيارات وتوريدها الى المملكة، التي سرعان ما اخذت تنافس شركة (جنرال موتورز) بسياراتها (الشيفروليه) وحققت شركته نجاحا بعد اربع سنوات من الجهد المتواصل على ان يكون الدفع نسيئة وعلى اقساط باحتكارها تجارة تلك السيارات . صبري فالح الحمدي، جون فيلبي والبلاد العربية السعودية، ص84–85.

44 – احمد عسة، معجزة فوق الرمال، ط2، المطابع الاهلية اللبنانية، بيروت، 1966، ص111.

45 – نقلا عن: الويس موزل، تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، جـ3–4، س11، رمضان –شوال1396هـ(ايلول–تشرين الاول) سبتمبر، اكتوبر1976م، ص281.

46– ملف العالم العربي، الدار العربية للوثائق، العربية السعودية، رقم الوثيقة: ع س–1101/1، 20 كانون الثاني ، 1982.

47 – اليكسي فاسيلييف: تاريخ العربية السعودية ، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010، ص384.

48 – حرب الاخوان (1928–1930): نتيجة لرفض الاخوان الخضوع للدولة السعودية، لاسيما بعد ادخال الآلات الحديثة في المواصلات والزراعة والتعليم وغيرها، الامر الذي عده الاخوان خروجا عن تعاليم الدين الاسلامي، فتحول ذلك الى نزاع عسكري انتهى بانتصار ابن سعود على جيش الاخوان اواخر عام 1929.
-David Commins; The Wahhabi Mission and Saudi Arabia, London, 2006, P.82-91.

49 – محمد عبد الله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، ط2، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1952، ص330.

50– فتحي العفيفي، الثيوقراطية العلمانية في الدولة الخليجية المعاصرة دراسة في التاريخانية الحديثة، مجلة المستقبل العربي، العدد 350، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نيسان (ابريل) 2008، ص141–142.

51– صادق حسن السوداني، جماعة الاخوان جيش ابن سعود شبه النظامي، مجلة الخليج العربي، العدد10، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1978، ص108.

52 – حافظ وهبة، جزيرة العرب، ص304.

قائمة المصادر

1–الوثائق المنشورة:

أ–العربية:

–ملف العالم العربي ، الدار العربية للوثائق، العربية السعودية، رقم الوثيقة: ع س–2010/1.

2-الرسائل الجامعية:

- مفيد كاصد ياسر الزيدي، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915-1927، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991.

3-الكتب العربية والمعربة:

- احمد عسة، معجزة فوق الرمال، ط2، المطابع الاهلية اللبنانية، بيروت، 1966.
- بنسون لي جريسون، العلاقات السعودية- الامريكية في البدء كان النفط، ترجمة سعد هجرس، دار الجيل، بيروت، 1991.
- جبار يحيى عبيد، التاريخ السياسي لامارة حائل، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، 2003.
- جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، نقله الى العربية لجنة من الاساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1957.
- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961.
- ـ ، خمسون عاما في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
- خيري حماد، اعمدة الاستعمار في الوطن العربي، الحلقة الاولى عبد الله فيلبي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.
- دافيد هـ.فيني، بترول الصحراء، ترجمة اسماعيل الناظر، مراجعة معد الكيالي، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت، 1960.
- صبري فالح الحمدي ، جون فيلبي والبلاد العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن سعود (1915-1953)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013.
- ــ ، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915-1953)، دار الحكمة، لندن، 2011.
- طالب محمد وهيم، تاريخ الحجاز السياسي 1916-1925، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2007.

- عبد الفتاح حسن ابو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، 1976.
- عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث1500-1918، جـ1، دمشق، 1960.
- غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية منذ عام 1945 دراسة في العلاقات الدولية، معهد الانماء العربي، القاهرة، 1980.
- فريد هوليداي، المجتمع والدولة في الجزيرة العربية، ترجمة محمد الرميحي، الكويت، 1976.
- فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكاتب العربي ، بيروت، 1965.
- قيس محمد نوري وآخرون، المجتمع والدولة في السعودية مسيرة نصف قرن ، بيت الحكمة، بغداد، 2001.
- محمد عبد الله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب(1) في المملكة العربية السعودية، ط2، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1952.
- محمد علي رضا الجاسم، مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1972.
- نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والاحساء) المجلد الاول 1914-1915، دار الساقي، بيروت، 2000.
- اليكسي فاسيلييف: تاريخ العربية السعودية ، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010.

4-الكتب الاجنبية:

- David Commins; The Wahhabi Mission and Saudi Arabia, London, 2006.
- David Holden and Richard Johns, The House of Saud, London, Pan Book LTd, 1982.
--Gary Troller; The Birth of Saudi Arabia, London, 1976.
- George Rentz; Wahhabism in the " the Arabian Peninsula, Edited by Derek Hopwood, London, (N.D).

- *John Marlowe, The Arabian Gulf in the Twentieth Century, London, 1962.*
- *John Philipy; Saudi Arabia, Beirut, 1968.*
- *Kenneth, Williams, Ibn Saud , The Buritan King of Arabia, London, 1933.*
- *Peter Sluglett; Britain in Iraq 1914-1932, London, 1976.*
-*Philip Graves; The The Life of Sir Percy Cox, London, 1941.*
- *Randall Baker; King Husain and Kingdoom of Hegaz, The Oleander Press, New York, U.S.A.*
-*Stephen, Hemsley Longrigg, Oil in the Middle East, London, 1954.*

5-البحوث المنشورة:

- سليمان الدخيل، امراء السعود في جزيرة العرب، مجلة لغة العرب، جـ6، السنة الثالثة، 3 محرم 1332-تشرين الثاني 1913.

- ـ، الارطوية اول بلدة جديدة في ديار نجد، مجلة لغة العرب، الجزء11، من السنة الثانية، جمادى الآخرة1331، ايار 1913م.

- صادق حسن السوداني، جماعة الاخوان جيش ابن سعود شبه النظامي، مجلة الخليج العربي، العدد10، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1978.

- صبري فالح الحمدي، الدكتور عبد الله الدملوجي والسياسة الخارجية السعودية (1915-1928)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 15، السنة 2009.

- طارق نافع الحمداني، الملك عبد العزيز وسياسة الموازنة بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية (1926-1945)، مجلة المؤرخ العربي، العدد(43) السنة السادسة عشرة، اتحاد المؤرخين العرب، 1990.

- عبد الفتاح ابو علية، رسالة تشارلز كرين الى الرئيس روزفلت يصف فيها الملك عبد العزيز، مجلة الدارة، العدد الاول ، السنة الثالثة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ايار عام 1977.

-عبد الله ناصر السبيعي، نشاط الارسالية الامريكية العربية للتبشير في شرق الجزيرة العربية، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، العدد الاول، السنة الثانية، الرياض، شوال 1402هـ/يوليو(تموز)، 1982.

– فتحي العفيفي، الثيوقراطية العلمانية في الدولة الخليجية المعاصرة دراسة في التاريخانية الحديثة، مجلة المستقبل العربي، العدد 350، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نيسان (ابريل) 2008.

–نجاة عبد القادر الجاسم، القضايا التي ناقشها الامير فيصل بن آل سعود مع المسؤولين في الحكومة الامريكية اثناء زيارته للولايات المتحدة في اواخر سبتمبر 1943، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 3–4، المجلد السادس عشر، 1984.

–الويس موزل، تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، جـ3–4، س11، رمضان – شوال1396هـ(ايلول–تشرين الاول) سبتمبر، اكتوبر1976م.